اغلاط المولَّدين

(تابع لما في الجزء السابق)

واما الضرورات الشعرية فمنها ما بقي مخصوصاً بالشعر وهو ما تعلق بالاحكام الكلية من مثل قصر الممدود واثبات آخر الناقص في الجزم وشبههِ وصرف الممتنع وتنوين المنادى المبنيّ الى ما اشبه ذلك ولا دخل لهُ فيما نحن فيهِ . ومنها ما شاع في النظم والنثر وهو ما شذّ من المسموعات الجزئية مع امكان ردّهِ الى وجهٍ من القياس ولو تمحلاً . وذلك كقولهم في جمع خريدة خُرَّد فان فعيلة لا تُجمَع على فُعَّل فلا يقال في كريمة كُرَّم ولا في مريضة مرَّض لكن يمكن ان يُحمَل هذا الجمع على توهُّم مجيء خارد في معنى خريدة فجُمِعت على خُرَّد كما يقال عانس وعُنَّس وحائل وحُوَّل وهو مقيَّدٌ باللفظ المسموع فلا يتعدّاهُ الى غيرهِ . ومنها ما لم يَشِع في شعرٍ ولا نثر وهو ما لا يمكن ردّهُ الى وجهٍ من القياس كقول بعضهم في أَنظُر أَنظُور وكجمع الآخر الحِنَّاء على حِنَّان وغير ذلك مما مرّت مُثُلهُ في كلامنا على اغلاط العرب[1] وهو لا يتجاوز البيت الذي سُمع فيهِ . وهذا ايضاً خارجٌ عما نحن فيهِ لانهُ من الشذوذ الذي لم يدرجوا عليهِ في الاستعمال ولم يُلحَق شيءٌ منهُ بأوضاع اللغة بخلاف ما تقدّمهُ مما شاع على ألسنتهم في النظم والنثر وأدمجهُ نَقَلَة اللغة في كتبهم . ولا بأس ان نعزّز هذا الموضع بايراد شيءٍ من امثلتهِ مع بيان الشعر الذي ورد فيهِ على قدر ما يُتوصل

(١) راجع مقالتنا تحت هذا العنوان في مجلد السنة الثالثة

اليهِ من النقل الذي بأيدينا وعلى قدر ما يحتملهُ الاشتغال بهذه العُجالة . ولا يخفى ما في هذا المطلب من الخفاء والغموض لان ذلك مما غابت عنا اصولهُ ولم يبقَ الا الاخذ في شعاب الحدس والاستدلال وانما الغرض ايراد نموذجٍ منهُ لبيان تصرُّف العرب في لغتها والله من وراء السداد

فمن تلك الامثلة قولهم درعٌ جدلآء قال ابو عُبَيد الجدلآء والمجدولة من الدروع المنسوجة . ولا يخفى ان هذا الوزن غريبٌ في هذه الكلمة لان باب أَفعَل وفعلآء مخصوصٌ بالصفات اللازمة من الالوان والحِلَى وما يجري مجراها من صفات اعراض المحسوسات كالابيض والاهيف والاحدب وكقولهم درهمٌ احرش وعودٌ اعقف وارضٌ جردآء وصَفاةٌ خلقآء وما اشبه ذلك . فان كانت من الصفات الواقعة جرت على فعلها فيقال درعٌ منسوجة وحبلٌ محرَّد وحجرٌ مُدمَج ولا يقال درعٌ نسجآء ولا حبلٌ أَحرَد ولا حجرٌ أَدمَج . وكأنّ الذي قال درعٌ جدلآء توهم في الجَدْل معنى المتانة والقوَّة فبنى منهُ صيغة افعل كما يقال قناةٌ صمّآء مثلاً وسهّلهُ مجيء صفاتٍ للدرع على وزن فعلآء كقولهم درعٌ قَضّآء ودرعٌ ملسآء ولعلّ اول ما وردت هذه الكلمة في قول الحُطَيْئة

فيهِ الجيادُ وفيهِ كل سابغةٍ جدلآء محكمةٍ من نسج سلاّمِ

فانهُ اراد ان يقول مجدولة فاضطرّهُ الوزن فعدلها الى جدلآء . وفي البيت ضرورةٌ اخرى وهي قولهُ من نسج سلاّم يريد من نسج سليمان فاضطرّتهُ القافية فنقلهُ الى سلاّم . وقد غلط في هذا ايضاً لان الدروع فيما تناقلتهُ العرب تُنسَب الى داود لا الى سليمان ومن هذا قول كعب بن

زهير في قصيدتهِ المشهورة

شُمٌّ العرانين ابطالٌ لَبُوسهمُ من نسج داود في الهيجا سرابيلُ

ومن ذلك قولهم في جمع الرَقَبَة رِقاب ورَقَب بفتحتين وأَرْقُب كأَضلُع . والجمعان الاولان قياسيان كما يقال في جمع ثَمَرة ثِمار وثَمَر ولكن الجمع الثالث غريب لان فَعَلَة لاتجمع على أفعُل وانما هو من قول الراجز

تَرِدْ بنا في سَمَلٍ لم يَنضُبِ منها عِرَضْناتٌ عِظامُ الأَرقُبِ

وقد خرّجوهُ بانهُ على طرح الزائد اي على اسقاط التآء من رَقَبَة فيبقى رَقَب وحينئذٍ يكون على حدّ جبَل وأَجبُل . لكن تقدم ان الرَقَب بترك التآء يأتي جمعاً لرَقَبة فيكون أَرقُب جمعاً للجمع واذا صحّ هذا لم يمتنع ان يقال انهُ جمع رقاب ايضاً على حدّ ذِراع وأَذرُع الا ان كل ذلك تكلفٌ لا يُفضَى اليهِ في حال البداهة كما يرشد اليهِ الذوق السليم ولا سيما مع وجود الجمعين الآخرين وانما دعت اليهِ الضرورة وسهّلهُ ما تقدّم من الرجوع بهِ الى قياس جموع المفردات

ومن هذا القبيل قولهم في جمع أَعزَل عُزَّل بوزن رُكَّع حكاهُ في لسان العرب وانشد للاعشى

غير ميلٍ ولا عواويرَ في الهيــــجا ولا عُزَّلٍ ولا أَكفالِ

وهو من الجموع الشاذّة لان أَفعَل لا يجمع على فُعَّل ولكن قياس جمعهِ على فُعْل بضم فسكون مثل احمر وحُمْر . وقد ورد ايضاً عُزْل بوزن حُمْر على القياس وهو المشهور في الاستعمال ولكن الشاعر اضطرّ الى زيادة متحرك في البيت فعدلهُ الى عُزَّل . قال في تاج العروس قال شيخنا

صرّحوا بانهُ لا يُجمَع افعل على فُعَّل ولكنهُ لما وقع الاعزل في مقابلة الرامح حملوهُ عليهِ لانهم قد يحملون الصفة على ضدّها كما قالوا عَدُوّة حملاً على صديقة او أُجري عزَّل مُجرَى حُسَّر جمع حاسر لتقاربهما في المعنى.اه وفي كلا الوجهين تمحلٌ لا يخفى وانما يتوخّى بمثل ذلك الاستئناس بوجهٍ من القياس على ما تقدم ولا يبعد على الشاعر ان يكون قد تمثل شيئاً من ذلك لما رسخ في ملكتهِ من اسلوب الوضع وطُرُق التصرف في ابنية اللغة . قال في المزهر قال ابن السرّاج في الاصول اعلم انهُ ربما شذّ شيءٌ من بابهِ فينبغي ان تعلم ان القياس اذا اطّرد في جميع الباب لم يكن بالحرف الذي يشذّ منهُ .. فمتى سمعت حرفاً مخالفاً لهذه الاصول فاعلم انهُ شذّ فان كان سُمِع ممن تُرضَى عربيتهُ فلا بدّ من ان يكون حاول بهِ مذهباً او نحا نحواً من الوجوه او استهواهُ امرٌ فغلّطهُ . اه

وقالوا هلَكَ الرجل هَلْكاً وهُلْكاً وهُلوكاً وهلاكاً وهَلَكة وتَهلُكةً وتُهلُوكاً . ولا يخلو ان يكون بعض هذه المصادر من لغاتٍ مختلفة أدّى الى اجتماعها تداخل تلك اللغات وبعضها من مقتضى ما نحن فيه من الضرورات الشعرية. فان الهَلْك بالفتح والهُلك بالضمّ لغتان ولا ضرورة في احدهما لاستوائهما في الوزن والتقفية . والاول من لغة من يقول هلَكَ من باب ضَرَبَ فهو كالرَبْض من رَبَضَ ومثلهُ الهُلوك فانهُ كالربوض من رَبَضَ وهو القياس . والثاني من لغة من يقول هلِكَ من باب تعِبَ فيكون على حدّ الرُغب من رَغِبَ ومثلهُ الهَلَكة وهي على حدّ الأَنَفة من أَنِفَ. والهلاك يحتمل البابين فيكون من الاول كالتباب

من تَبَّ ومن الثاني كالخَراب من خرِب · وبقي التهلُكة والتهلوك وهما بنآءان غريبان لا نظير لهما في المصادر فأحرِ بهما ان يكونا مما ساقتهُ الضرورة ولم نقف على شعرٍ في الاول واما الثاني فقد سُمِع في قول شبيب بن شبّة

شبيبُ عادَى اللهُ من يجفوكا وسبّب اللهُ لهُ تهلُوكا

وجآء في هذه المادّة قولهم في جمع هالك هوالك وهذا لا يكون في العقلآء الا جمعاً لفاعلة او لفاعل المؤنث كثاكل وثواكل واصلهُ من قول ابن جِذل الطِعان

فايقنتُ اني ثائر ابن مكدَّمٍ غداة غدٍ او هالكٌ في الهوالكِ

ومثلهُ قولهم في جمع فارس فوارس وفي جمع ناكس نواكس وهذا الاخير من قول الفرزدق

واذا الرجال رأَوا يزيدَ رأيتَهم خُضُعَ الرقاب نواكس الأَبصارِ

وقد اعتذروا عن الاول بانه يُقال في المثل فلان هالكٌ في الهوالك والامثال يجيء فيها ما لا يجيء في غيرها والذي عندنا ان المثل لم يؤخذ الا من هذا البيت . وعن الثاني اي فوارس بانهُ لا يكون في المؤنث فلم يُخَف فيهِ اللبس قلنا ولو صحَّ هذا في كل ما اختصّ بالمذكر لجاز في قاضٍ مثلاً وغازٍ وباسل ورامح وشاطر وغير ذلك فالاظهر انهُ في اصلهِ ضرورة والا فما الداعي الى فوارس مع وجود فرسان . واما الثالث فاجمعوا على انهُ ضرورة

(ستأتي البقية)

حديقة السوسن

(تابع لما قبل)

– ١٤ –

جاء في كتاب (الهيتو باديزا) أي النصائح النافعة الذي وضعهُ فلاسفة الهند باللغة السنسكريتية منذ احقاب متطاولة ان المرأة يجب ان لا تخرج عن مراقبة أبيها في صباها و زوجها في كهولتها وابنها في شيخوختها وان لا يُترك لها حريةٌ ما من المهد الى اللحد

وورد في شريعة كنفوشيوس حكيم حكمآء الصين ما معناهُ . ان نسبة الزوجة الى زوجها نسبة الرعية الى الملك فلهُ عليها السلطة المطلقة ولكنهُ مأمور انهُ يستعمل هذه السلطة بالمحبة والحنوّ وعليها أن تطيعهُ مادام غير مختلّ الشعور . والضرار غير ممنوع والآبآء ينتخبون الازواج لبناتهم والزوجات لابنآئهم واذا لم يرتضِ الزوج من امرأتهِ أمكنهُ أن يبيعها أو يطلقها ولا جناحَ عليهِ

وفي اعتقاد البوذيين ان النفس تتطهر في جملة اماكن قبل بلوغ دار السعادة فالمكان الثالث منها فيهِ ست عشرة دَرَكة منها واحدة للمرأة السليطة المارقة من طاعة الزوج تجد فيهِ من صنوف العذاب ما لم تسمع بهِ اذن ولم يخطر على قلب

على انهُ لكل قاعدةٍ شواذ فان في الهند طائفةً من مجوس الفُرس قد اقتدوا بالحسَن من التمدن الاوربي حتى ضارعوا اعظم الامم حضارةً

ولو كانوا أمةً كبيرةً كاليابان لاشتهروا مثلهم ولكنهم قليلو العدد. ونسآؤهم يتعلمنَ كما يتعلم رجالهم ولبعض هؤلآء النسآء مقالاتٌ ضافية في اشهر المجلات الانكليزية والاميركية يبحثنَ فيها مباحث تاريخية واجتماعية يتعلق معظمها بآداب طائفتهم . وقد ورد في الجرائد الطبية ان بعضاً منهنَّ درسنَ علم الطب في مدرسة كلكتا واجيز لهنَّ في الطب والجراحة من مدارس انكلترا

ثم ان في بعض المذاهب الشرقية ما يقضي بطلاق الزوج العاقر وفي مذاهب أخرى يباح الطلاق للرجال بسبب و بلا سبب اتباعاً لاحكام الشهوات والغايات ومطاوعةً للحدة والشكاسة. فتنقطع بغتةً آمال الحياة المنزلية وسعادتها من فؤاد الطالق المسكينة وتعيش سائر أيامها رهينة الشقآء والبؤس بينا يكون زوجها متمتعاً بهنآء شهر العسل مع عروسٍ جديدة بل عرائس . هذا اذا لم تقيّض التقادير لها رجلاً فيهِ من العيوب ما يفضي بهِ الى التساهل فيتزوجها وهي أيّمٌ ويقضيان عيشةً يتبرأ منها الهنآء ويفرُّ من اصحابها النعيم . ومن أعجب العجب أن من هؤلآء الاقوام من يتزوج الكاعب وسنها لا تجاوز الثانية عشرة وهو شيخ قد أفنتهُ السنون ولا يُستنكَر ذلك عليهِ مع انهُ من أقبح انواع الظلم فضلاً عما يترتب عليهِ من عدم التشاكل وسوء التعاشر . وهذا موجودٌ في أمم أوربا وانما الفرق ان العذرآء الاوربية تتزوج الشيخ الهرِم مختارةً يدفعها الى ذلك الغرض وطمع النفس أما الفتاة الشرقية فتُعطَى لهُ مكرَهة من أبوَيها وهي دون سنّ الرشد ولا مصلحة لها عندهُ البتة بل بالعكس فانهُ

يُقعِدها ورآء الحجاب ويسومها اصناف العذاب الى أن يقضي الموت أو الطلاق بالفراق . فيا لله من ظلم البشر

وأغرب ما في المسألة ان اكثر الامم الذين يبيحون الطلاق في الشرق يحصرون حقوقهُ في غالب الاحوال اذا لم نقل في كلها بالرجال دون النسآء فللزوج بكلمةٍ واحدةٍ يقولها ولو طيشاً وهوجاً أو ظلماً وعدواناً ان يفرّق بين زوجتهِ وبنيها ويجعل حياتها أشد هولاً واكثر حرجاً من حشرجة الصدر وقد يفعل ذلك ولا ذنب لها سوى زوال شمس محاسنها وغضارة صبوتها أو اصابتها بعلةٍ اقعدتها اضطراراً عن القيام بخدمتهِ وارضآء شهواتهِ أياماً او اسابيعَ معدودة . كل هذا وهو في الغالب أقدم منها أياماً وأقل ملاحةً واكثر عيوباً وعاهات وليس للزوجة وان كان زوجها سكيراً أو مقامراً او جامعاً نقائص العالم تحت بُرديهِ ان تطلب طلاقهُ

أما المواريث فقد غُبنت فيها الانثى الشرقية كما قدمنا فان الاسرائيليين قد أسقطوها تماماً من حق الارث وكذلك اتباع حمزة المعروفون بالموحدين ثم النصيرية والقرامطة المعروفون في جبل القدموس وسَلَمْية وغيرهما بالاسماعيليين . أما المسلمون فجعلوا للذكر مثل حظ الانثيين بالنظر الى البنات والاخوات وفرضوا للأم السدس وللزوجة الثمن وقالوا ان الانثى لا تحجب ذوي القربى بعكس الغلام . أما المسيحيون الشرقيون فهم يجرون في كل مملكة بحسب فرائضها الارثية اذ ليس لديهم من نصوص شرعية في مثل هذه الشؤون وفي هذه الحالات المتضاربة ما فيها من الاجحاف وعدم المساواة كما لا يخفى على المتأملين

لا جرم ان المواد المذكورة في هذا الفصل هي التي يحق للاناث بل يجب عليهنَّ السعي في تلافيها على وجه يكفل لهنَّ التعادل الفعلي ضمن الحدود المعينة للانثى من مبدع الطبائع والشرائع لاما ينادينَ بطلبهِ وهنَّ ساخطاتٌ ناقمات كأنهُ من حقوقهنَّ وما هو الاّ نيرٌ على عواتقهنَّ وبلآء على جنسهنَّ اللطيف مما أتينا على بيانهِ من قبل . فقد ثبت مما قدمنا — وهو غيضٌ من فيض — ان الاجحاف بحقوق الانثى لايزال في الشرق والغرب وفي اميركا وغيرها شاملاً اموراً عديدة خطيرة لها دخلٌ كبير في سعادة الحياة فلو اتجهت عناية المرأة وأنصارها الى تحصيل ما لها ورفع الحيف عنها لاصابت على توالي الايام نجحاً ونالت فائدة بل فوائد بعكس ما ينجم عن تهافتها على مزاحمة الرجال فيما ينزع عنها جمال الانوثة ومظاهرها اللطيفة ويجعلها جباراً مخوفاً مع انها خلقت لتكون عشيراً أنيساً بل ملَكاً كريماً . والمرأة ينبغي أن تدوم امرأة والا فمصير عالم الانسان الى الانقراض اتباعاً لسنَّة الزمان

انعقد في العام الغابر مؤتمر النسآء في برلين عاصمة الالمان للمرَّة الرابعة[1] مؤلفاً من ستة آلاف امرأة فاضلةٍ وعالمة تجمعنَ من اطراف العالَم المتمدن فجلسنَ خمسين جلسة وتلونَ مئتي تقرير عن حالة المرأة في المجتمعات القوميَّة وما يجب عليها وما يجب لها وكان محوَر بحث المؤتمر

(١) انعقد هذا المؤتمر للمرَّة الاولى في مدينة واشنطون سنة ١٨٨٨ وللمرَّة الثانية في مدينة شيكاغو سنة ١٨٩٣ وللمرَّة الثالثة في لندرة سنة ١٨٩٩ وغايتهُ المطالبة بحقوق النسآء

واجبات المرأة من حيث هي زوجة وأمّ. فلم ينل استحسان العقلآء من كل ما ورد فيهِ من الخطَب والتقريرات التي تجاوز اكثرهنَّ فيها درجة الاعتدال سوى خطابٍ فاهت بهِ اللادي ابرَدين من عقائل الانكليز كان لهُ في النفوس النبيلة المقاصد احسن وقع اذ قالت

اذا أرادت المرأة ان تكون ذات مقام ونفوذ في الهيئة الاجتماعية وجب عليها ان تعرف قبل كل شيء ما خلقت لاجلهِ وما يجب عليها القيام بهِ. وانهُ ليسوءني ان تنهض الآن في وجه الرجل بحجة انهُ ظلمها في اعصر الهمجية والخشونة فتطلب الانتقام والاخذ بالثأر مزاحمةً اياهُ في الاعمال ومناصب الحكم فان الاجدر بنا نحن نسآء عصر المعرفة والنور ان نتحف الانسانية بامرأةٍ افضل من تلك المرأة القديمة لان الانسانية اليوم في حاجةٍ الى حكمةٍ اتمّ وحبٍّ اصدق والحكمة والحب خير مملكةٍ تملك فيها المرأة . انتهى

وقال الفاضل جول سيمون في اواخر عمرهِ جملةً يتذكَّرها كلُّ عاقل وُفّقَ للاطلاع عليها وهي « كنا سنة ١٨٤٨ نشكو من افتقار نسآئنا الى الحرية والتنوير والتعليم حتى يصلحنَ للتربية وحسن الائتلاف مع الرجال فصرنا الآن نشكو من كثرة اندفاعهنَّ في هذه الحالات حتى اصبحنَ آفة الرجال » وقد طلب احد اصحاب المجلاّت العلمية في اميركا من ارباب الاقلام بياناً عن الصفات التي ينبغي ان تتكلف بها الانثى معيناً جائزة مالية لمن يفضل غيرهُ في الجواب فنال الجائزة من بين الف ومئة كاتبٍ صاحب الجواب الآتي

اولاً يجب أَلاّ يتعدّى تعليم المرأة الحيّز الذي يناسب حالة الانوثة اي ان لا تتعلم فنون الحرب والتجارة ولا الصناعات الخشنة ولا تتعمَّق بمثل الفلكيّات والطبيعات والآليّات

ثانياً ان تحسن اتقان ادارة المنزل بفروعها حتى الحساب ولتكن مقتصدةً بحيث تعلم ان ثوباً صوفيّاً دُفع ثمنهُ خيرٌ لها من ثوبٍ حريريٍّ أُخذ بالدَّين . (حاشية للمؤلف : وان البسيط خيرٌ من المزركش وما كان من صناعات البلاد خيرٌ مما يرد من بلاد الاجانب)

ثالثاً الاّ يباح الزواج لفتاةٍ قبل ان تمتحن امام لجنةٍ تتألف من فُضلَيات النسآء المعروفات بالنزاهة وتنال الشهادة منهنَّ بانها اهلٌ لإِرضآء الزوج وفيها كفاية لتربية البنين ومعاشرة الناس

هذا غاية ما يرام من المرأة فاذا حازت هذه الصفات وكانت حرَّة الارادة نيّرة اللبّ عذبة اللفظ والبيان سعدت وأسعدت ونقلت حياة النوع البشريّ الى منتهى درجات كمالها

ان الرجل والمرأة وان كانا فرعين لأَرومةٍ واحدة وشطرين يركّبان كياناً واحداً فلا يستفاد من هذا انهُ يجب ان يتماثلا عملاً ووظيفةً كما تشاكلا جسماً وصورةً والاّ لوجب ان يخلق كلٌّ منهما مستقلاً بوظيفتي الإِيلاد والولادة مستغنياً عن الآخر فعلاً وانفعالاً ككثير من فصائل الطبقات الحيوانية السافلة فعند ما يصحُّ عقلاً وفعلاً حمل الرجل وولادتهُ وكونهُ مرضعاً ومربياً يصحُّ للمرأة ان تكون جنديّاً غازياً وتاجراً مساوماً وبنّآءً كادحاً

فليحافظ إِذَنْ كلٌّ من الجنسين على ما ميَّزتهُ بهِ الفطرة بالطبع ويقف ضمن الدائرة التي حدّدتها لهُ الطبيعة فلا يتخطاها متجاوزاً الى دائرة شطرهِ الآخر وليحرص كلٌّ منهما على ما لهُ وعليهِ من الحقوق فلا يعطينَّ مما لهُ وليؤدّينَّ ما عليهِ منصفاً نفسهُ ومنتصفاً منها . هذا هو السبيل المؤدي الى كمال النوع وفيهِ سرُّ سعادة الحياة ونعيمها

(ستأتي البقية)　　سليم عنحوري

المطر الصناعي

جاء في احدى المجلات الالمانية فصلٌ تحت هذا العنوان لخّصتهُ مجلة المجلات الاميركانية وعلقت عليهِ بعض الشروح وهذا ملخصهُ

لا يخفى ان البخار المائي اذا صادف جسماً آخر اكثف منهُ رسب عليهِ وتحوّل الى ضباب او غيم او مطر . وهذا هو سبب تكوّن الغيوم في الجوّ حيث تصادف دقائق البخار المائي ذرّات الغبار فترسب عليها . وقد علل الاستاذ أتكين الاسكتلندي صاحب هذا الرأي كثرة الضباب الذي يغشى انكلترة بكثرة دخان الفحم الذي يتصاعد من معاملها واستشهد على ذلك بان كثافة الضباب المحيط بمدينة لندن تقلّ بنسبة البعد عنها . وبرهن ذلك ايضاً بالتجربة الآتية قال . خذ انبوبين من الزجاج مملوءين هواءً اعتيادياً ومسدودي الاطراف وفرّغ احدهما من الهواء واملأهُ هواءً نقياً وذلك بوضع قطعة من القطن في فوّهتهِ تمنع ذرّات الغبار من الدخول اليهِ عند دخول الهواء الجديد . ثم افتح كلا الانبوبين وعرّضهما

بسرعة للبخار المآئي فترى احدهما قد انتشر فيهِ نوعٌ من الضباب حالة كون الآخر المملوء هوآءً نقيًّا يبقى صافيًا شفافًا

ومما يُثبت ذلك ايضاً تكوُّن الغيوم فوق النيران والحرائق العظيمة وسببهُ رسوب دقائق البخار المآئي على ذرّات الغبار التي تحملها طبقات الهوآء الحار الى الاعلى . ومما يستحق الاعتبار ان حبّات البَرَد تحتوي على ذرّاتٍ من الغبار تجدها في مركز الحبّة . وقد شاهد الاستاذ نُورْدِنْسكُولد الاسوجي في سنة ١٨٨٤ حباتٍ من البرد فيها قطعٌ من المواد المتبلورة ثقل الواحدة منها نحو ست قمحات

هذا ومن المعلوم ان وميض البرق يتبعهُ نزول المطر وان هذا المطر يزداد بنسبة اشتداد ذلك الوميض . وقد ذكر بلوطرخوس ان الفرس واليونان كانوا يستنزلون المطر بضجيج الحرب . ومما يلاحظ ان انفجار البراكين واللغوم والمواد المتفرقعة ومعظم وقائع الحروب التي يكثر فيها اطلاق النار تُتبع بامطارٍ غزيرة . وقد الّف المهندس ادورد پورس كتاباً موضوعهُ « الحروب والتغيرات الجوية » ذكر فيهِ الوسائل الصناعية لاستنزال المطر فقال ان افضلها هي ان يكثّف البخار المآئي الموجود في طبقات الهوآء باطلاق نيران المدافع بكثرة . فبحث مجلس الولايات المتحدة سنة ١٨٧٤ في هذا الرأي ولكنهُ نبذهُ اخيراً لكثرة ما يقتضيهِ من النفقات

وفي سنة ١٨٧٦ ادّعى فردنند هاترمان (وهو الماني مقيم بزيلاندا الجديدة) ان لديهِ طريقةً لاستنزال المطر وذلك باطلاق القنابل في

طبقات الهوآء من المناطيد . وفي سنة ١٨٨٠ توصّل الجنرال دانيال روجلس الاميركاني الى طريقة اخرى يُستنزل بها المطر بواسطة الديناميت وغاز الهدر وجين الاكسيجيني ولبث عشر سنين يحاول اقناع امتهِ بصحة طريقتهِ حتى وضعها مجلس الولايات المتحدة في سنة ١٨٩١ موضع البحث فخصص لتجربتها تسعة آلاف ريال اميركي وعهد الى الجنرال روبرت ديرنفُورث في اجرآء تلك التجربة . فاجراها هذا ثلاثاً ونجح في كلها وعلى الخصوص في المرة الاخيرة اذ كانت النتيجة مرضيّة مقنعة . واُعيدت تلك التجارب في سنة ١٨٩٣ في الهند وفي انكلترة فاتت بالنتائج المرغوبة

على ان اهم شرط لنزول المطر هو وجود البخار المآئي في الهوآء بحيث اذا صادف البخار المنتشر فيهِ جسماً بارداً تكاثف عليهِ . وقد لوحظ امرٌ آخر عند سقوط المطر وهو انهُ يسبقهُ سكون من مثل السكون الذي يحدث قبل الزوبعة فاذا تحاكّت طبقات الهوآء المشبعة بالبخار المآئي اضطرب توازنها وقلقت بعد ركودها فينتج عن ذلك تساقط المطر . ولذلك اذا لم يكن الهوآء مشبعاً بالبخار المآئي فلا يمكن انزال المطر بأية طريقة كانت ولو نفد البارود والديناميت في اطلاقهما لاستنزالهِ

سليم عبد الاحد

من كلام ابي ذرّ « كان الناس ثمراً لا شوك فيهِ فصاروا شوكاً لا ثمر فيهِ »

الكسوف الاخير

وبعض تقارير اهل الرصد

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة ما اتصل بنا من الكلام على الكسوف الكلي الذي حدث في ٣٠ اوغسطس من السنة الماضية نقلاً عن بعض الجرائد والمجلات العلمية وقد وقفنا بعد ذلك على عدة رسائل ومقالات في هذا المعنى لا تخلو من فائدة او فكاهة فاقتضبنا منها ما يلي



فمن ذلك ما كتب بهِ المسيو دُويرات من فيليبڤيل بالجزائر الى الندوة الفلكية في باريز وقد نشرتهُ في مجلتها الخاصة في الشهر الماضي قال

كانت مناظر الظلال عند ابتدآء الكسوف ونهايتهِ بمكان من الغرابة ولا سيما ظلال الايدي كما يُرَى في الرسم المنقول في هذا الموضع وهو ظلّ يدٍ على جدار قبل تمام الكسوف ببضع دقائق فكان يُرَى بين كل اصبعين نتوء مستدير والاصابع تُرَى دقيقةً قريبة الشبه مما يُرسَم بواسطة اشعة رُنتْجن واطرافها معقوفة بما يشبه المخالب

اما الضوء فاخذ يضعف من حين بلغ الكسوف ثلث قرص الشمس واذ ذاك تبدّل لونهُ فغلب عليهِ اللون النارنجي وكان هذا اللون يشتدّ كلما دنا الكسوف من التمام واخذت زُرقة السمآء تميل الى السواد ثم صارت الى اللون البنفسجي . وقبل تمام الكسوف بنحو دقيقتين بدأت الظلال الراقصة بالظهور وكانت اولاً متداخلة غير تامّة الوضوح ثم اخذت تتضح وتتميز شيئاً فشيئاً وكان شكلها شكل مناطق قصيرة متموجة يفصل بينها طرائق نيّرة . وكانت كل منطقةٍ من الظل بعرض ٦ او ٨ سنتيمترات وبين كلٍّ منها والتي تليها نحو ١٠ سنتيمترات وكانت تنتقل من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بسرعة نحو متر ونصف في الثانية . اما لونها فلم يبدُ عليهِ تغيير

وبعد نهاية الكسوف التام تجدد منظرها ومع بقآء حركتها على ما ظهرت عليهِ اولاً اي من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي فان المناطق المذكورة كانت تظهر كانها تتراكب وتتقاطع حتى كانها تدور حول نفسها

اما ما يسمى بحَبّ السُبحة او حَبّ بَيلي فظهر مدة بضع ثوانٍ عند ما تماسّ محيط الشمس والقمر من الداخل فكانت تلك الحبوب ذات ضيآء شديد اللمعان وكان ظهورها اولاً على الجانب الجنوبي الشرقي من الشمس منتظمةً على مسافة نحو ٣٠ درجة من محيطها ثم ظهرت عند انتهآء الكسوف الكلي على الجانب الشمالي الغربي

وعند اكتمال الكسوف ظهرت الزُهَرة في الشمال الغربي من الشمس وعلى مسافةٍ منها بينها وبين الشمس ظهر عُطارِد وظهر الى شرقيّ الشمس

مع ميلٍ الى الجنوب نجمٌ مضيء من القدر الاول اظنهُ السماك الرامح

وكتب المسيو هنري برُّوتين من اسپانيا قال انهُ بينما كان الكسوف يتكامل والهلال الشمسي يستدق كانت ظلال الاشباح تظهر اوضح حدوداً لتقلص الظُلَيل من جوانبها . ومما يجدر بالذكر ان ضوء الشمس الذي يقع على الارض من خَلَل فروج الاغصان ويكون عادةً مستديراً (١) كان اذ ذاك بهيئة اهلّة مشاكلة لهلال الشمس ومطابقة لهُ في الاتجاه . وقد راقبنا سرعة انتقال ظل القمر على الارض وقسناها قياساً تقريبيًّا فكانت بين ٦٥٠ و ٧٠٠ متر في الثانية وقد ظهر لنا خلا الزُهَرة وعطارد بعض كواكب الدبّ الاكبر . انتهى

من كل شيءٍ تحمي اخاك الا من نفسهِ

اخذنا منذ مدةٍ ننشر رسالةً في حقوق المرأة من تأليف حضرة الالمعي الفاضل سعادتلو سليم بك عنحوري تحت عنوان حديقة السوسن وهي كما رآهُ كل من اطلع عليها افضل ما كُتِب في لغتنا في هذا المعنى

(١) ورد ذكر هذا المنظر في شعر المتنبي وقد وصف جيشاً فقال

تمرّ عليهِ الشمس وهي ضعيفةٌ تطالعهُ من بين ريش القشاعمِ
اذا ضوءها لاقى من الطير فرجةً تدوَّر فوق البَيض مثل الدراهمِ

يقول ان الشمس كانت تمر فوق هذا الجيش وقد خيمت النسور عليهِ فكان لا يصل ضوءها اليهِ الا من خلال اجنحتها فاذا وقع على البيض اي الخوَذ ظهر مستديراً كالدراهم . وذكرهُ مرةً اخرى في قصيدةٍ مدح بها عضد الدولة فقال بعد وصف شعب بوّان وما فيهِ من الاشجار

وقد احاطت بهذا البحث من جميع اطرافهِ وتضمنت آرآء الامم في كل قطر واقوال الحكمآء في كل عصر وما تقلبت عليهِ احوال الانثى واعتبار منزلتها من المجتمع الانساني . وكان في جملة ذلك امر الطلاق والضرار وغيرهما مما يترتب عليهِ كثيرٌ من احوال الأُسرة والامّة ومما يتعين على الكاتب ان يفيض فيهِ ببسط اقوال المشترعين والحكمآء وردّ كل حكم الى اسبابهِ ووجوههِ . ومعلومٌ ان بعض البلاد الاوربية والاميركية اباحت في الزمن الاخير امر الطلاق لما اعتبرت فيهِ من مصلحة الزوجين وعلّل مشترعوها ذلك بان الزواج ينبغي ان يُعتبَر شركة مفاوضة يراد بها بقآء النوع والتعاون في جهاد الحياة لا سرًّا علويًّا لا تقوى يد حاكمٍ ارضيٍّ على نقضهِ

هذا محصَّل ما جآء في الرسالة المذكورة نقلاً عن المشترعين المشار اليهم وهو سوآء كان حقًّا ام باطلاً وموافقاً لبعض الشرائع الدينية ام مخالفاً لها فان صاحب الرسالة لم يؤيّدهُ ولم ينقضهُ لان غرضهُ ايراد ما يحتجّ بهِ اصحاب هذا الرأي لا تقرير ما يعتقدهُ في نفسهِ . وأيّ الامرين كان فان الضيآء غير مسؤولٍ عنهُ لان الرسالة منشورةٌ فيهِ تحت اسم صاحبها فان كان ثمة اعتراضٌ او نكير فهو على الكاتب لا عليهِ ولكن كل ما على الضيآء ان ينشر ما يرد عليهِ من الاعتراض بشرط ان يكون مبنيًّا على قاعدةٍ

والقى الشرق منها في ثيابي   دنانيراً تفرُّ من البنانِ

يريد بالشرق الشمس يقول ان ضوءها النافذ من خلال الاغصان كان شبه دنانير تلقيها الشمس على ثيابهِ الا انهُ اذا حاول امساكها تفرّ من يدهِ . قيل انهُ لما بلغ الى هذا البيت قال لهُ عضد الدولة والله لأُلقينّ فيها دنانير لا تفرّ

من قواعد العلم او راجعاً الى وجهٍ معقول

اما ما هذر بهِ اصحاب المشرق في هذه المسئلة وما حاولوا ان ينصبوهُ لنا من الحرب العوان تارةً بالترَّهات والاكاذيب وطوراً بالتهويل والمخرقة على عقول العوامّ فما لا نتفرغ للردّ عليهِ كما لم نتفرغ للرد على سائر مفترياتهم من قبل . على ان غرضهم من ذلك لا يخفى على من عرف شيئاً من اطوار هذه الجمعية وهو لا يعدو الغرض من مناصبتهم لسائر المجلات العلمية بل لكل امرٍ لهُ تعلق بالعلم أو الدين لان من قواعد « طريقتهم » ان ينفردوا بالقبض على ازمَّة السياسة المدنية والاجتماعية والدينية بحيث يكونون هم اساتذة العالم باسرهِ فلا تكون كنيسةٌ مع كنيستهم ولا منبرٌ مع منبرهم ولا مدرسةٌ مع مدارسهم وهلمَّ جرًّا . واثباتاً لذلك نذكر للمطالع بعض ما جاء في الفصل الخامس من كتاب تعاليمهم الخصوصية وهو هذا معرَّباً بالحرف

« (٢) يجب على جماعتنا ان يبحثوا عن نقائص غيرنا من الخدام الروحيين ويتتبعوا هفواتهم وما توصّلوا الى معرفتهِ منها فليتلطفوا في اذاعتهِ بين مريدينا الامناء بان يذكروهُ لهم في معرض الاسف بحيث يثبتون لهم انهم ليسوا اهلاً للقيام بحقّ الوظائف التي هم شركاؤنا فيها

» (٣) يجب عليهم ان يبذلوا اقصى مجهودهم في معارضة الذين ينوون ان ينشئوا مدارس لتعليم الاحداث في الاماكن التي يعلّم فيها جماعتنا وليبثّوا في عقول اولي الامر واصحاب الخطط ان هؤلاء الناس اذا لم يُضرَب على ايديهم ويُمنَعوا من التعليم لم يؤمَن ان يكونوا سبباً في حدوث

اضطراباتٍ ومشاغب في المملكة وان الفساد انما يكون مبدأهُ في عقول الصغار بما يُلقَّنون من التعاليم المتباينة وبالتالي فان الجمعية كافيةٌ وحدها لتعليم الاحداث . واذا كان أولئك الروحيون قد حصلوا على مراسيم من البابا او تواصٍ من الكرادلة فعلى جماعتنا ان تتصدّى لمقاومتهم بتوسيط الكبرآء واولي الامر وتكليفهم ان يبسطوا للبابا فضائل الجمعية وكفايتها في امر تعليم الاحداث من حيث لا خوف منها على السلم وليجتهدوا في الحصول على شهادات من ذوي المناصب تُثبِت حسن مسلكهم وجودة تعليمهم »

هذا نموذج يسير من تعليم هذه العصابة وسياستها واذا كان هذا صنيعها وما تضمرهُ لخدّام الدين الذين تتزيّا بزيّهم وتتظاهر بانها منهم فما الظنّ برأيها في غيرهم . ونكتفي الآن بهذا القدر مما انطوت عليهِ بواطن أولئك القوم الا اذا احرجونا الى المزيد وتحقيق ما انذرناهم بهِ من قبل مما لعلهم لم ينسوهُ والله المستعان

من كلام يحيي بن خالد « رأينا شارب خمر نزع واصاً اقلع وصاحب فواحش رجع ولم نر كذاباً صار صادقاً »

آثار ادبيّة

كتاب مرشد الراغبين في اسعاف المصابين — اهديت لنا نسخة من مؤلَّف جليل بهذا العنوان لحضرة مؤلّفهِ الفاضل يوسف افندي بشتلي ضمّنهُ طرق العناية بمن أُصيب بحادثٍ فجائي من الحوادث الكثيرة التي تقع في البلاد المزدحمة بالعمران والتي تكثر فيها الآلات البخارية والكهربائية

على سرعتها المعلومة وما يطرأ ثمَّ من اصطدام وانفجار ودهس وغيرهِ فضلاً عما يقع من الخطوب الاخرى كسقوط عامل من سطح بناء او حدوث حريق او تسمم او غرق الى غير ذلك مما لا يُحصَى ومما تتجدد نوازلهُ كل يوم ولا يُستغنَى فيهِ عن الاسراع في تدارُك الخطر . ولما كان اكثر هذه الحوادث يقع على غير انتظار وقد لا يتسنى حضور الطبيب الا بعد فوات الفرصة ونفوذ الخطر رأى مؤلف هذا الكتاب ان يضمّنهُ اهمّ ما يقتضيهِ تدارك المصاب من الوجهين العلمي والعملي فابتدأهُ بوصف جسد الانسان وصفاً تشريحيّاً وفسيولوجياً ثم شرح انواع الجراح التي تعرض لكل عضو وما يطرأ على العظام من كسر وخلع وغيرهما وما يحدث في مثل هذه الاحوال من الآفات والعوارض كارتجاج الدماغ واحتقانهِ واحوال التسمم والاختناق وما يتصل بذلك كلهِ مع الوصف المدقق بحيث يمكن ان يفهم المراد منهُ من لم يسبق لهُ المامٌ بالطب والجراحة وشفع كل ذلك بالرسوم اللازمة لايضاح المعنى وتشخيص الآفة والعمل في تداركها

ولا يخفى ان هذا اول كتاب أُلّف في هذا الغرض وهو ولا ريب من التآليف التي لا غنى عنها في مثل هذه البلاد وقد اصبحت معتركاً للاعمال الكبيرة والتبسط في مذاهب العمران على ما فيهِ من اتّساع مجال الحوادث وتنوعها فنثني على حضرة مؤلفهِ الفاضل لما توخى بهِ من خدمة الانسانية ونأمل في حكومتنا السنية ان توزّعهُ على جميع المصالح الكبرى في البلاد رحمةً بالمُصابين وتلافياً لما يتكرّر حدوثهُ من الآفات والاخطار

فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

— ١٥ —

قد قصصت عليكم ايها الاصدقاء بعض وقائعي وانا ملازم في الجيش ثم وانا ضابط فرقة ثم كولونيل ثم رئيس فرقة والآن ترون انني انتقلت فجأةً الى اهم واسمى

تعلمون ان امبراطورنا المحبوب في السنوات الاخيرة التي قضاها في جزيرة القديسة هيلانة توسل مراراً ليؤذن لهُ في ارسال كتاب واحد من كتبهِ بدون ان يطلع الحاكم عليهِ كما جرت بهِ العادة . ومع ان نفسهُ الكبيرة لم تكن قط تتنازل لمخلوق فانهُ اعاد طلبهُ وتوسلاتهِ في هذا الشأن حتى وعد انهُ اذا سمحوا لهُ بذلك يقوم بنفقات نفسهِ ويوفر على الحكومة الانكليزية ما تنفقهُ عليهِ . غير انهم كانوا يعرفون مقدرة ذاك الرجل المصفرّ اللون القصير القامة ويخافون سطوتهُ فلم تغرّهم مواعيدهُ ولم يسمحوا لهُ بذلك . وقد اهتم كثيرون بمعرفة افكار الامبراطور او على الاقل بمعرفة الشخص الذي كان يودّ ان يرسل اليهِ ذلك الكتاب السرّي فقال بعضهم انهُ ربما كان الى زوجتهِ وقال غيرهم بل هو الى حميهِ او الى الامبراطور اسكندر او المارشال سولت ولكنهم لم يصيبوا المرمى . واخالكم تتعجبون كثيراً اذا قلت لكم ان الذي كان يودّ ان يرسل اليهِ ذلك الكتاب هو انا . نعم انا فان الامبراطور كان يهمهُ جدًّا ان يوصل ذلك الكتاب الى الكولونيل جيرار لانني وان كنت كما ترونني ليس لي من حطام الدنيا سوى مئة فرنك اتقاضاها من الحكومة كل شهر فلم اكن لابرح من ذاكرة الامبراطور بل اؤكد لكم انهُ كان يجود بقطع يسراهُ

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ليتمكن من محادثتي خمس دقائق . ولكي ابرهن لكم على ذلك ها كم السبب .

اننا بعد معركة فريشامبنواز وجدنا جنودنا في حالة يرثى لها من الضعف وكانت فرقتي قد تشتتت في الحملة على غارون ثم بلغنا استيلآء الاعدآء على باريس وان سكانها وضعوا على قبعاتهم الوردة البيضآء وبلغنا اخيراً ما هو ادهى من ذلك وهو ان مرمونت وجيوشهُ قد انحازوا الى البوربون فكنا ننظر بعضنا الى بعض متسائلين هل يبقى معنا احد من القواد الآخرين وهم جوردان ومورات وبرنادوت وجوميني فاننا كنا مع وجود كل هؤلآء ومرمونت معنا مستعدين لمحاربة اوربا باسرها واما في ذلك الحين وقد فرغت يدنا من اكثرهم فانهُ صار يلزمنا فضلاً عن محاربة اوربا ان نحارب نصف فرنسا ايضاً

وبعد مسيرٍ شاقّ بلغنا فونتنبلو ونحن بقية من جيش ناي وجيش ابن عمي القائد جيرار وجيش مكدونلد والجميع نحو خمسة وعشرين الفاً وسبعة آلاف من الحرس . ولكننا كنا في حالة تجعلنا بقوة خمسين الفاً ومعنا امبراطورنا وهو يعادل خمسين الفاً اخرى وكان دائماً يسير بيننا متبسماً يلقي كلامهُ بلطف هنا وهناك مشجعاً معزياً حتى صارت الجنود تنظر اليهِ نظر اليونان الى آلهتهم . وفي ذات مسآء كنت مع بعض الضباط نشرب كأساً من الخمر واذا برسول قد جآء يستدعيني لمقابلة برتيه فنهضت مسرعاً وكان يقيم في جناح قصر فرنسوا الاول بازآء محل سكنى الامبراطور . فلما دخلت غرفة الانتظار رأيت رجلين اعرفهما احدهما الكولونيل دسبيان والآخر الملازم تريمو وهما من اصدقآئي . واذ ذاك دخل علينا الحاجب وقال ان الجنرال برتيه يود ان يكلم الكولونيل جيرار فنهضت واستأذنت صديقيَّ وتبعت الحاجب فادخلني غرفةً صغيرة رأيت فيها مائدة ورآءها برتيه وقد بانت عليهِ دلائل الاهتمام والابتئاس . ولما حييتهُ نظر اليَّ وقال قبل ان احدثك اريد ان تقسم لي بشرفك قسم جنديٍّ وشريف ان لا تدع احداً يعلم ما سأقولهُ لك او ما سيجري بيننا . ولما اقسمت لهُ قال لا يخفى عليك ان نجم سعد الامبراطور قد أفل ولم يبقَ اقل امل في اعادتهِ الى الاشراق وقد انحاز عنا الجنرال جوردان

في روان والجنرال مرمونت في باريس وانضما الى البوربون ويقال ان تاليرند يذاكر ناي في اقتفآء اثرهما . ومن المؤكد ان المقاومة لا تجدينا نفعاً بل قد تضرُّ بنا ولذلك رأيت الاولى ان نلقي القبض على الامبراطور ونسلمهُ الى البوربون وبذلك تنتهي هذه الحرب المشؤومة التي جرَّت علينا الويل والدمار فهل توافقني على هذا الرأي . فلما سمعت هذه الكلمات خارجة من فم برتيه وهو اعزّ اصدقآء الامبراطور والوحيد الذي نال من نعمهِ ما لم ينل سواهُ كدت افقد رشادي فنظرت اليهِ نظرة الاحتقار والازدرآء ولم افه بكلمة حتى اعاد سؤالهُ فقلت انني لا اسمع يا مولاي الا ما اريدهُ وبما انني لم اسمع شيئاً من كلامك الآن فاسمح لي ان اعود من حيث اتيت . فقال مهلاً يا جيرار افلست تعلم ان مجلس الشيوخ قد اعلن عصيانهُ للامبراطور وان الامبراطور اسكندر اصبح من اضدادهِ . فقلت انني لا اهتم يا مولاي بما يفعل مجلس الشيوخ ولا بما يقول الامبراطور اسكندر اكثر مما اهتم ببقية الخمر التي ترسب في كأسي ولا شيء في العالم باسرهِ يهمني سوى المحافظة على شرفي وخدمة اعظم واقدس شخص في العالم وهو سيدي ومولاي الامبراطور نابوليون بونابرت . فهز برتيه كتفيهِ وقال اذاً تؤثر ان نبقى ضد الامة وضد القدر وان نثير الحرب الاهلية التي سوف تدمر فرنسا . وهل جهلت ان اكثر القواد تركونا ولم يبقَ منا بقيةٌ تذكر وانهُ اذا اخلصنا للامة وللبوربون قبل فوات الوقت وسلمنا اليهم الامبراطور تحفظ حياتنا اولاً وننال اعظم الرتب والمقامات العالية . فلم احتمل سماع ذلك ورفعت رأسي فقلت لم اكن اظن انهُ يأتي يومٌ اسمع فيهِ اعظم مارشالية فرنسا يهين نفسهُ ويحط من قدرهِ بمثل هذه الافكار فانت وشأنك يا سيدي الجنرال اما انا فان قُبل الامبراطور او رُفض لا يزال سيفي لاصقاً بقبضة يدي ادافع بهِ عن شخصهِ المقدس وعن شرفي الى آخر نفس من حياتي . اما برتيه فقرع جرساً بالقرب منهُ فدخل الحاجب فقال لهُ خذ الكولونيل جيرار الى الردهة فادخلني الحاجب الى بهوٍ كبير وامرني ان استريح فيهِ قليلاً وكنت اود التخلص من ذلك الكهف الجهنمي غير انهُ لم يمكني مخالفة الاوامر فجلست على احرّ من الجمر . ولم يمضِ

اكثر من ربع ساعة حتى فتح الباب ودخل الحاجب يقود الكولونيل دسبين فرأيتهُ اصفر اللون وقد جحظت عيناهُ ورقص شارباهُ وهو يقول يا لهُ من صلّ خائن جاحد الجميل فعلمت انهُ قابل برتيه وسمع منهُ ما سمعتهُ انا . ولما كنا كلانا قد اقسمنا لبرتيه ان لا نفوه بكلمة مما سمعناهُ جعلت احلف واشتم مثلهُ لاعلمهُ اني من رأيهِ وان فكر برتيه ضد معتقدي . وانّا لكذلك واذا بصراخ الاستغاثة قد بلغ آذاننا فاسرعنا الى الباب فاذا الملازم تريمو والقائد برتيه في عراك شديد وقد امسك الملازم بعنق القائد فكاد يخنقهُ . فبذلنا كل الجهد حتى فصلناهُ عنهُ فوقف والزبد في شدقيهِ وهو يقول قد جآء هذا الشيطان ليطغيني . واذ ذاك فُتح الستار الازرق عن الحائط المقابل وظهر نابوليون نفسهُ فاسرعنا لتأدية التحية العسكرية فنظر الينا بتبسم لطيف ولكنهُ مخيف ثم تقدم الى برتيه فوضع يدهُ على كتفهِ وقال بلطفٍ لا ينبغي ايها العزيز ان تطلب المصارعة مع احد . فقال برتيه ولكنهُ كاد يعدمني الحياة يا مولاي . فقال الامبراطور كنت اود ان اسرع لانقاذك لو لم يسبقني هذان الشهمان . ثم نظر الينا وتقدم الى تريمو فامسك اذنهُ وقال انك كنت من رفاقي في الحملة المصرية ونلت الوسام في معركة مارنغو و يسرني ان ارى نار الحدة لا تزال تتأجج في صدرك . اما انت يا كولونيل دسبين فاهنئك لانك اعرت المغري اذناً صمآء وانت يا كولونيل جيرار لا زال سيفك مسلولاً بيني و بين اعدآئي . نعم انني كنت محاطاً ببعض الخوَنة اما الآن فيسرني ان ارى حولي بعض المخلصين

ولا اظنكم قادرين على تصور ما خامرنا ايها الاصدقآء عند ما كلمنا نابوليون بهذا اللطف فكنا نميل كالسكارى ونحن غير مصدقين انهُ يخاطبنا كاصدقآء لا كجنود. ثم انهُ اشار الينا باتباعهِ الى غرفةٍ اخرى قائلاً تعالوا لاوضح لكم المقصود من هذه الرواية التي تمثلت الآن اما انت يا برتيه فارجو ان تبقى في غرفتك لنكون على ثقةٍ من ان لا يفاجئنا احد . فقلت في نفسي ما عسى ان يريد منا الامبراطور في خلوةٍ يحرس بابها احد مارشالية فرنسا ولكننا ما دخلنا حتى وقف نابوليون بيننا وقال اني اخترتكم ايها الاحبآء من بين الجيش بأسرهِ لانكم أشجع واصدق جنودي وقد

كلفت برتيه ان يمتحنكم كما فعل وجلست في نفس الغرفة اسمع من وراء الستار ما يدور بينكم و بينهُ من الحديث • ولا احسبكم تلومونني على ما فعلت بعد ان رأيت الخيانة في نفس اسرتي و بين اقرب الناس اليَّ . اما الآن فاني واثق باخلاصكم ولن أشك فيهِ ابداً . وما سأقولهُ لكم الآن لم أقلهُ لمخلوقٍ قط فلا زوجتي ولا اخي يعلمان غايتي . اننا فقدنا كل شيء ايها الاصدقاء ولم يبقَ أقل أمل في تقويم حالتنا فيجب أن نستعد لذلك . واول ما يجب عملهُ الآن هو حفظ اوراقي ومالي لان أملي في المستقبل اذا وُجد يتوقف على ذلك وهو وحدهُ اساس نهضتنا ثانية اذا ساعدنا التوفيق لانني اعتقد ان البور بون لا يستطيعون ان يجعلوا من موطئ قدمي عرشاً لهم . ولا أدري أين اخفي هذه الاوراق والاموال الآن لانهُ لا بد لهم من تفتيش منزلي و بيوت اصحابي فيجب اذاً ان احفظ هذه الاشياء في موضع لا يبلغون اليهِ لانها أثمن عندي من حياتي ولذلك قد اخترتكم انتم الثلاثة من بين رجال فرنسا لمعاونتي في هذا الامر . اما اوراقي المذكورة فهي صكوك طلاقي لجوزفين وزواجي الشرعي بماري لويز وولادة ولدي ووارثي ملك رومية فاذا فقدت شيئاً منها فقدت حقي من المطالبة بعرش فرنسا . اما الاوراق الباقية فمالية تبلغ ار بعين مليوناً من الفرنكات ولا انكر انهُ مبلغ جسيم ولكنهُ لا يهمني اكثر من هذه العصا التي في يدي بالنسبة الى الاوراق الاخرى . وقد اطلعتكم على كل ذلك لتتحققوا اهمية الامر الذي اسلمهُ اليكم فاسمعوا لي بانتباه لاخبركم أين تجدون هذه الاوراق وماذا يجب ان تفعلوا بها . ان الاوراق سُلّمت في هذا الصباح الى صديقتنا الامينة الكنتة والوسكي في باريس وفي الساعة الخامسة ستخرج من فونتنبلو في مركبتها الزرقاء فتصل الى هنا بين الساعة التاسعة والعاشرة والاوراق مخبوءة في عربتها حيث لا يعلم بها احد سواها . وقد بلّغت ان ثلاثة فرسان سيلاقونها خارج البلدة فتدفع اليهم الاوراق وهؤلاء الفرسان هم انتم . انك يا جيرار اصغر الثلاثة سنّاً ولكنك اكبرهم رتبةً فخذ هذا الخاتم وأبرزهُ للكنتة وهو العلامة المتفق عليها لتسلم اليكم الاوراق واتركهُ معها بمنزلة وصولٍ منا . ومتى استلمتم الاوراق فسيروا في الغابة

الى طرفها الآخر عند المحل المعروف ببيت الحمام فانكم تروني هناك في انتظاركم الاّ اذا رأيت في الامر خطراً فاني ارسل بدلاً مني خادمي الخاص مصطفى فمهما يقل لكم فافعلوهُ . ومتى بلغتم بيت الحمام ترون الى يمين المدخل ثلاثة معاول فتحفرون حفرة عمقها ثلاث اقدام عند زاوية الباب الشمالي المتجهة الى فونتنبلو ثم تدفنون فيها هذه الاوراق وتردّون الارض كما كانت و بعد ذلك قابلوني في القصر

وكان الامبراطور يلقي اوامرهُ هـذه بمنتهى الدقة والتفصيل فلما انتهى طلب منا ان نقسم على حفظ السر وابقاء الاوراق في مخبأها ما بقي حيًّا . ولما خرجنا من لدنهُ توجهنا الى منزل الكولونيل دسبين فتناولنا طعام المسآء ونحن نفكر فيما سنقوم بهِ واتفقنا ان نسير من المنزل في جهات مختلفة ونتقابل في نقطة معلومة على الطريق المؤدية الى باريس . فأخذت فرسي فيوليت وحسامي وغدارتين وكان الليل نقياً هادئاً والبدر يشرق بنورهِ ثم اجتمعت برفيقيّ فسرنا معاً وكلنا عيون تنظر الى الامام مترقبين وصول مركبة الكنتة . ولم نزل كذلك حتى سمعنا ساعة القصر تقرع العاشرة ولم نرَ احداً فخامرنا شك في نجاح رسالتنا واذا بصوت عجلات المركبة عن بعد ثم صار يقترب ورأينا امامنا مصباحيها ثم جيادها الدهمآء وما صدقنا ان صارت بالقرب منا حتى استوقفناها واقتربنا من النافذة فرفعت يدي الى رأسي محيياً الكنتة وقلت لها اننا يا سيدتي الفرسان الثلاثة الذين اوفدهم جلالة الامبراطور لمقابلتكِ . فنظرت اليَّ بازدرآء وقالت وانا اعلم يا هذا انكم ثلاثة فرسان خائنين . ولوضربتني بيدها اللطيفة على وجهي لما اوجبت تعجبي اكثر مما استغربت كلامها فقلت عفواً يا مولاتي فهذا الكولونيل دسبين وهذا الملازم تريمو وانا الكولونيل جيرار الذي ولا شك تعرفينهُ بالسماع . فقالت يا لكم من لصوص خوَنة ومن اعلمكم ان معي اوراقاً ام رأيتم انني امرأة ووحيدة فأردتم ان تسخروا بي . فقلت لا اعلم ماذا اصابكِ يا مولاتي حتى تسمعينا هذا الكلام واكرر لكِ ما قلتهُ ان الامبراطور عهد الينا في استقبالكِ لامرٍ تعلمينهُ وقد اعطانا هذا الخاتم وهو العلامة المتفق عليها . فاخذت الخاتم من يدي وتأملتهُ على نور المصباح ثم قالت نعم انهُ خاتمهُ بعينهِ فآه يا الهي

ماذا فعلت . ورأيت على وجهها علامة الارتباك فقلت عجلي يا سيدتي وسلمي الينا الاوراق. قالت ولكنني سلمتها من نصف ساعة الى ثلاثة فرسان استقبلوني واخبروني انهم مرسلون لهذه الغاية . فلمع شرار الغيظ في عينيَّ وقلت لها مَن هم هؤلاء الثلاثة . قالت لا اعرفهم فقد استوقفوا مركبتي وللحال سلمت اليهم الاوراق لعلمي انهم مرسلون من قبل نابوليون . وفي اقل من لحظة قررت ما يجب ان افعلهُ فنظرت الى رفيقيَّ وقلت ابقيا هنا مع الكنتة وانتظراني فسأعود سريعاً ثم وخزت ڤيوليت فانطلقت تعدو بي كالسهم الى فونتنبلو ووثبت عن ظهرها امام القصر ولم أقف الا في غرفة الامبراطور وكان مع مكدونلد يتحادثان وامامهما خريطة . فنظر اليَّ الامبراطور وقد غاظهُ دخولي الفجائي ولما تبينني امر المارشال ان يتنحى قليلاً ثم نظر اليَّ وقال ما وراءك . فقصصت عليهِ ما جرى ولم اتم كلامي حتى صاح بي يجب عليك يا عزيزي جيرار ان تسترجع لي هذه الاوراق كيفما كانت الحال فلا تضع ولا دقيقة . قلت ولكن هل تعرف او تظن من يكون هؤلاء الثلاثة . قال لا ولكنني اعلم انهم سيأخذون الاوراق الى باريس والغالب انهم سيدفعونها الى ذاك اللئيم تاليراند وانا اؤكد انهم الآن على طريقهم الى باريس وانهُ في امكان احسن فارس في جيوشي ان يدركهم . ولم اسمع تتمة الحديث بل خرجت من لدنهُ كالمجنون وطرت الى حيث تركت رفيقيَّ فعلمت منهما انهُ لم يمر بهم احد فقلت انهم سبقونا الى باريس فهيا لادراكهم . ولم يحتج رفيقاي الى غير نظرة واحدة لمعرفة افكاري فلم يكن الا كوميض البرق حتى اندفعت جيادنا بسرعةٍ لا اظن احداً قبلنا سار بمثلها ولم نكن نرى امامنا مصابيح منزل او شجرة على الطريق حتى تصير وراءنا بمسافةٍ. وبلغنا فندقاً رأيت امام بابهِ فتى في يدهِ وعاء فيهِ ماء فسألتهُ هل رأى ثلاثة فرسان فقال نعم وقد سقيت جيادهم من بضع دقائق . فتركت بقية الكلام في فيهِ وصحت برفيقيَّ فطارا ورائي ولم يكن الا القليل حتى سمعت دسبين يقول ها هم ونظرت على نور القمر الى آخر الطريق فرأيت ثلاثة اشباح صغيرة كانت تتجسم كلما اقتربنا منها وكان اثنان منهم بلباس الفرسان والثالث في الوسط كانهُ رئيسهما . وبعد قليل

رأيتهُ ادار وجههُ الينا ليتبين المسافة التي بيننا فعرفتهُ وصحت بهِ قف يا كولونيل مونتلوك قف باسم الامبراطور . فلم يكن الجواب الا ان ادار رفيقاهُ وجهيهما الينا واطلقا علينا النار فسمعت دسبين يصرخ صراخاً مخيفاً. اما انا وتريمو فبقينا مسرعين وبعد قليل وقف احدهما فقابلنا واشتبك مع تريمو فلم أُدِر وجهي لارى ما يكون بل رأيت رئيسهم لا يزال مجدًّا في السير فتبعتهُ عالماً انهُ كما ترك رفيقيهِ يجب ان اترك رفيقيّ وان اهمية الرسالة ستكون بينهُ و بيني . وكان يبذل جهدهُ في وخز جوادهِ ولكنني كنت اقترب منهُ بعد كل خطوة ثم سقطت قبعتهُ عن رأسهِ فرأيت رأسهُ الاصلع يلمع تحت نور القمر واذا بهِ قد ادار وجههُ ايضاً وافرغ غدارتيهِ معاً في وجه ڤيوليت . ومع انني تحملت اكثر من مئة جرح من رصاص البنادق والسيوف والحراب فلم اشعر بالم اكثر مما شعرت حينئذٍ عند ما ارتجفت ڤيوليت تحتي وقد اصيبت لاني كنت احبها اكثر من كل شيء في العالم ما خلا والدتي والامبراطور . فتناولت غدارتي واطلقتها عليهِ وظننت اولاً انني لم اصبهُ ولكنني ما عتمت ان رأيت في ظهرهِ بقعةً حمرآء تتسع شيئاً فشيئاً ثم رأيتهُ يترنح على ظهر جوادهِ واخيراً سقط عنهُ فعلقت رجلهُ بالركاب . وسهل عليَّ اذ ذاك ادراكهُ فامسكت بلجام جوادهِ وقلت لهُ هات الاوراق حالاً ولكنني علمت للحال انهُ لا يجيبني لان الموت كان قد اطبق جفنيهِ فان رصاصتي اخترقت قلبهُ . ولم اكن انتظر غير ذلك فاندفعت ابحث في ثوبهِ وقميصهِ وحذآئهِ وسرج جوادهِ ولكنني لم اجد الاوراق فكدت افقد عقلي وانا اعجب من معاندة الاقدار لي . فوقفت حيناً مسنداً يدي على عنق ڤيوليت افكر فيما يجب ان افعلهُ كي لا يقول الامبراطور انني قصرت في واجباتي . ورأيت مونتلوك ميتاً امامي وعلمت ان احد رفيقيهِ لا بد ان يكون قد قتل ولم يبقَ الا الثالث وقد تركتهُ يقاتل تريمو فاذا نجا منهُ لم ينجُ مني فعزمت ان اعود لمقابلتهِ . وكنت في هذه الفترة قد ملأت غدارتي وفحصت ڤيوليت فوجدت ان رصاصةً مرَّت بالقرب من جلدها والاخرى قد جرحت عنقها ولكنها نظرت اليَّ كمن يقول انها كصاحبها لا تبالي بهذه الطفائف . وفي تلك

الدقيقة استلفت نظري شيء يلمع في الحقل بجانب الطريق فعرفت انهُ السلسلة النحاسية التي على قبعة مونتلوك وتذكرت انها سقطت عن رأسه . ثم خطر لي انهُ كيف يمكن ان تسقط عن رأسهِ وتقع على مسافة خمس عشرة خطوة عن الطريق فلا شك انهُ هو الذي رمى بها وحينئذٍ فلا بد في الامر من سرّ . واذ ذاك وثبت وثبةً واحدة بلغت بها القبعة فاخذتها واذا في وسطها رزمة اوراق مربوطة بخيط قرمزي فجعلت ارقص فرحاً وفي يدي الواحدة قبعة مونتلوك وفي الاخرى الاوراق وقلت ان الامبراطور لم يرتكب غلطاً في تفويض امرهِ وتسليم سرّهِ اليَّ . وكان لثوبي جيب داخلي فوضعت الاوراق فيهِ وامتطيت صهوة ڤيوليت وعدت لارى ما حلَّ برفيقي تريمو فلاح لي فارس يقترب عن بعد من جهة الحقول ثم سمعت وقع حوافر تقترب مني واذا الامبراطور نفسهُ على جوادهِ الابيض ملتفاً بردآئهِ الطويل وعلى رأسهِ قبعتهُ المثلثة . ولما قاربني قال اين الاوراق فدنوت منهُ ودفعتها اليهِ بدون كلمة . فاخذها وفتحها ثم نظر اليها بسرعة ومد ذراعهُ فضمني اليهِ وقبلني قائلاً لله درّك يا جيرار فانت بالحقيقة اعجوبة ولكن قل لي اين تركت السارق . قلت انهُ مات يا مولاي . قال وهل قتلتهُ . قلت انهُ جرح فرسي وما كنت لادركهُ لو لم اطلق عليهِ رصاصتي . قال وهل عرفتهُ قلت هو الكولونيل دي مونتلوك . قال هو الواسطة اما الاصل فلم نلقِ عليهِ القبض بعدُ فآه يا تاليراند آه يا تاليراند اني عرفتك منذ خمس سنوات وتركتك حيًّا ولكن لكلٍّ يومهُ وكما اتذكر اصدقآئي فاني سأذكر اعدآئي ايضاً

فقلت للامبراطور يا مولاي اذا كان امر الاوراق بلغ هؤلآء الخونة فارجو ان تتيقن انهُ لم يكن مني ولا من رفيقيَّ . فتبسم وقال انا اعلم ذلك يا جيرار فان الفتنة تتأجج في نفس باريس . قلت وكيف عرفوا بها . فنظر اليَّ كعادتهِ اذا شاء ان لا يطيل الحديث وقال اراك انتفعت من هذه الخدمة لتتخذني راوياً لك . فصمتُّ لعلمي بطباعهِ وسار وسرت ورآءهُ صامتاً . ثم قال اني لم استطع ان انام هذه الليلة قبل ان اعرف ماذا فعلتم وهآءنذا قد استرجعت الاوراق ولكن

بثمنٍ باهظ جدًّا لانهُ لم يبقَ لي عددٌ من اصدقآئي المخلصين يسهل معهُ فقد اثنين منهم في ليلة واحدة فان الكولونيل دسبين قد قتل وتريمو اصابهُ سيف ذاك الغادر فقتل ايضاً ولو سبقت خمس دقائق فقط كنت انقذتهُ ولم يبقَ سواك ياجيرار وانت الوحيد الذي يعرف مخبأ هذه الاوراق. وشعرت من كلام الامبراطور برنة حزن خارجة من صدرهِ . ومررنا بقريةٍ صغيرة فايقظنا فلاحاً فيها وامرناهُ ان ينقل جثث القتلى ثم تابعنا المسير ولم يتكلم الامبراطور شيئاً حتى دخلنا الغابة فنظر اليَّ وقال قد قلت لك انهُ لم يعلم احد سواك بهذه الاوراق واين مخبأها فان مملوكي مصطفى قد اخذ المعاول الى بيت الحمام ولكنهُ لا يعرف لماذا ولم يطلع على سر الاوراق الا ثلاثة وهم امرأة ورجلان اما المرأة فاني اثق بامانتها الى الموت واما الرجلان فلا ادري من كان الخائن منهما ولكنني سأعرف ذلك بعد حين . ثم جعل يكلمني باخآء ويثني عليَّ ويخبرني عن ماضيهِ وعن آمالهِ المستقبلة وعن امانة مكدونلد وخيانة مرمونت وعن ملك رومية الصغير واخيراً عن حميهِ امبراطور النمسا الذي يؤمل انهُ يقف بين اعدآئهِ وبينهُ. وكنت اسمع بمزيد الاحترام واذرف الدموع من شدة فرحي ومن محبتي لهُ . ثم بلغنا بيت الحمام فوجدنا المعاول حيث قال فاخذ كلٌّ منا معولاً وقال عجل يا جيرار لانهُ سيبزغ الفجر قبل ان نعود الى القصر . ولما اكملنا الحفرة وضعت الاوراق في بيت غدارتي الجلدي لامنع وصول الفساد اليها ثم طمرناها وازلنا كل ما يدلّ على ذلك ولا اظن ان الامبراطور عمل بيديهِ منذ كان ورآء مدفعهِ في صغرهِ كما عمل تلك الليلة . ولما انتهينا لاح لنا الفجر فنهض الامبراطور وساعدتهُ ليركب جوادهُ فقال لي قد تركنا هذه الاوراق هنا يا جيرار واؤمل منك ان تدفن كل ذكرى تتعلق بها واصرف من مخيلتك كل ما مر في هذه الليلة ولا تتذكر شيئاً منهُ الى ان يوافيك مني امر آخر بعكس هذا ممضًى بختمي وبيدي فعدني انك من هذه الدقيقة تنسى كل شيء . قلت اني اعدك يا مولاي وكفى . ثم سرنا معاً الى اول البلدة فاشار اليَّ ان نفترق ولما رفعت يدي للسلام قال يصعب ان تتذكر المحل بالضبط ان لم نبقِ في فكرنا ان الزاوية

الشمالية الشرقية هي المحل الذي دفناها فيهِ . فقات دفنا اي شيء يا مولاي . قال الاوراق . قلت اي اوراق يا مولاي. فقال متضجراً الاوراق التي استرجعناها الليلة . قلت لا ادري ماذا تقول جلالتك ولا اعلم اي شيء تعني . فظهرت على وجههِ علامات الغيظ الشديد ولكنهُ عاد للحال فقهقه ضاحكاً وقال حسنٌ يا جيرار فقد فقد غلبتني هذه المرة وقد نسيت انني اوصيتك ان تنسى امرها منذ الساعة ولا اقول لك الآن الا انك اول سياسي كما كنت اول فارس في جيشي واول شجاع في فرنسا

هذا ايها الاصدقاء تاريخ صداقتي مع نابوليون . ولما رجع من جزيرة ألبا لم يشأ ان يبحث عن الاوراق حتى يستوثق من مركزهِ ولذلك بقيت في مدفنها الى ما بعد ذهابهِ الى جزيرة القديسة هيلانة وفي ذلك الوقت اراد ان يوصلها الى ايدي حزبهِ ولهذا السبب اراد ان يكتب اليَّ كما اسلفت وقد علمت انهُ كتب اليَّ ثلاث مرات فحال حراسهُ دون وصول الرسائل اليَّ . وقد اراد ايضاً ان يقوم بنفقة نفسهِ وعيالهِ وكان يسهل عليهِ ذلك من المبلغ الجسيم المحفوظ في تلك الحفرة ولكن لم يستطع ان يبلّغني امرهُ . ولما توفاهُ الله سنة ١٨٢١ كانت الاوراق لا تزال في مدفنها الى ان استرجعتها مع الكونت برتران لسبب كنت اود ان اقصهُ عليكم لولا ان وقتهُ لم يحن بعد ولكنكم ستسمعون يوماً بخبر تلك الاوراق وتعلمون كيف كان ذلك الرجل العظيم قادراً بعد وفاتهِ ايضاً ان يهزأ اوربا باسرها . ومتى اتى ذلك اليوم تتذكرون اتيان جيرار وتخبرون بنيكم انكم سمعتم هذا التاريخ من فيهِ . اما الآن فقد جاء الربيع ولا شك انكم تفضلون الخروج الى نور الشمس والتمتع برائحة الازهار على البقاء ضمن جدران هذه الحانة وسماع حديث عسكري قديم مثلي . ولكنكم تفعلون حسناً اذا ذخرتم ما قصصتهُ عليكم لانهُ سيأتي الربيع تلوَ الربيع وتبدو الازهار في مواعيدها وتغرد الطيور في اوكارها ولكن ستأتي ازمنة طويلة قبل ان ترى فرنسا مولى مثل ذاك المولى الذي كان يفتخر اعظم عظيم بأن يعد من جملة خدمهِ